

جدل الإعلام والسياسة في الوطن العربي

م. د . هيثم نعمة رحيم العزاوي
وزارة التربية

السياسة ، وسائل الاتصال ، الإعلام

ملخص

إن العلاقة الجدلية التي تربط السياسة بوسائل الإعلام هي علاقة تحكمها المصالح المتبادلة بين هذين الطرفين ، إذ تحكم تلك العلاقة التوجهات السياسية للدول غير الديمقراطية والتي لا تزال تسيطر على وسائل الإعلام بشكل مباشر أو غير مباشر ، ولكي نكشف جوانب هذه العلاقة فإن علينا ان نسلط الضوء على البناء السياسي والمفاهيم النظرية للسياسة وانظمة الحكم والتنشئة السياسية والمشاركة السياسية والديموقراطية مفهوماً وثقافة ، فلإعلام يؤدي دوراً مهماً في خدمة السياسة وذلك لتأكيد شرعية الحكومات ، إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال تصور العملية السياسية من دون العملية الإعلامية ، أرجو من الله أن أكون قد وفقت فيه وأن يكون نافعاً ، وحسبي إنني بشر يخطئ ويصيب والكمال لصاحب الكمال جلّ وعلا وصلى الله على محمد وعلى آل محمد .. ومن الله التوفيق .

DR. Haitham Nima Rahim Al - Azzawi

Doctor of Philosophy Political Media

Ministry of Education / Baghdad

Media, political , communication

Abstract

Despite the ancient knowledge of communication in its content and rooted in the basis of human activity and its interaction with the political environment within and outside the community, it is new in its methods, means and means of influence, coincided with interest and theorizing with the emergence of globalization, which relies on three bases Modern communication technology, the freedom of world trade, and the emergence of a new style in cultural goods. The necessities of this research necessitated dividing it into three research and introduction. The first topic dealt with political communication and its origin,

the second topic dealt with communication and media policies in the Arab world. The third topic dealt with the phenomenon of communication, political efficiency and political strife towards it through research on the nature of political media, communication and the mystery of its vagaries in some fields.

المبحث الأول

مفهوم السياسة والنظريات السياسية

يلتبس مفهوم السياسة وتعريفاتها رغم بساطته الظاهرية وكثرة تداوله بين الطبقات الاجتماعية كافة ، ولعل تداخله مع العديد من الأشكال الاجتماعية والدينية والايولوجية ، يجعل عملية تحديد مفهومه بشكل دقيق أمراً ملتبساً ، لكن المناهج العلمية استطاعت من خلال الادوات العلمية أن تجد له مقاربة تعريفية ، وقد عرفت القواميس المتخصصة بتعريفات مختلفة ، إذ يشير الباحث الأمريكي (بيل) إلى ان السياسة هي تأثير اللغة وتأثير القوة والسلطة ، فاللغة من شأنها تساعد في مجال تحليل الخطاب السياسي . (١) وهناك اربعة مفاهيم صنفها تعريفات السياسة تختلف في توجهاتها المنهجية و تتمثل بالآتي :

١. المفهوم الفلسفي للسياسة :

ارتبط هذا المفهوم تاريخياً بالفيلسوف أفلاطون الذي يرى ان الإنسان الوحيد المؤهل لممارسة السياسة والحكم هو الشخص المحب للمعرفة والباحث عن الحقيقة ، إذ كان الفكر الفرعوني المصري القديم اول من اشتغل بالسياسة في ظل قيام نظام الدولة الذي اسسه فرعون ، وأدار به الدولة بشكل مطلق ، وكذلك اعتقد الآشوريون والسومريون في ارض الرافدين ان الدولة يحكمها الإله من خلال حاكم بشري هو حاكم الدولة ، وجاءت نظرة الصينيين إلى السياسة تجسيداً عملياً لأفكار (كونفوشيوس) الذي وثق الحاكم بالمحكوم ، وانتقل الفكر الإسلامي من خلال ابن سينا والفارابي ، والفكر المسيحي من خلال القديس (توما الأكويني) ، وقد نظر هؤلاء الى السياسة نظرة تأملية اخلاقية .

٢. المفهوم الواقعي للسياسة

جاء المفهوم الواقعي كرد فعل فكري ونظري على التعريف الفلسفي ، ولكي يكون بديلاً ينبع من الواقع ويقرب السياسة الى الحقائق والوقائع الحياتية ، ويركز على جوهر السياسة ويبحث عن حقيقتها وينظر اليها كما هي متداولة في حياة الناس ، وليس كما يتصورها الفلاسفة ، ولهذا فإن السياسة تعني إدارة السلطة وممارستها وكيفية المحافظة عليها ، فلا سياسة بدون سلطة و لا سلطة بدون سياسة ، وبالتالي لا سلطة و لا سياسة بلا دولة ، وقد ظهر هذا المفهوم الواقعي على يد المفكر الإيطالي (ميكافيللي) الذي رأى ان الغاية تبرر الوسيلة ، وقد ربط السياسة بالسلطة ، وعرف السياسة بأنها وسيلة من اجل الوصول إلى السلطة والبقاء فيها .

٣. المفهوم القانوني للسياسة

يأتي هذا المفهوم ليشير الى تداخل السلطة بالسياسة وتلازمها ، فإذا كانت السلطة تتمثل بالقوة والنفوذ والحكم والصراعات ، فإن السياسة تتمثل بالقوة والنفوذ والحكم والصراعات ، فإن السياسة تتمثل بمؤسسات وإدارات ودستور وقوانين وأنظمة ، بالتالي يكونان مفهوم الدولة ، إذ يركز هذا المفهوم على الدولة اكثر من السلطة ، ليؤكد ان السياسة هي الدولة بكل مؤسساتها وتوجهاتها ، إذ يتمثل بالدولة الصراع والسلطة والحكم والمؤسسات والأنظمة والدستور واللوائح والقوانين المنظمة للحقوق والواجبات التي تحدد طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وقد كان المفكر البريطاني (توماس هوبز) ١٥٨٨ م هو من ربط بين قيام الدولة وممارسة السياسة وبين العقد الاجتماعي الذي يلزم المحكوم بأن يتنازل عن سلطاته لصالح الدولة مقابل حياة كريمة آمنة مطمئنة .

٤. المفهوم السلوكي للسياسة

جاء هذا المفهوم ليكشف محدودية المفاهيم السابقة وضيق الأطر التي تتناولها السياسة في الحياة الإنسانية ، فإذا كان المفهوم الفلسفي يعاني التجريد والتعميم للسياسة ، فإن المفهوم الواقعي يعاني التحديد المخلّ والذي يجرد السياسة من القيم الأخلاقية ، كما ان المفهوم القانوني يعاني تضيق مفهوم السياسة من القيم الأخلاقية ، كما ان المفهوم القانوني يعاني تضيق مفهوم السياسة واختصارها في الدولة ومؤسساتها مغيباً في ذلك الإنسان ودوره في كثير من مجالات الحياة ، وبالتالي جاء المفهوم السلوكي ليعطي ابعاداً كبيرة للسياسة ودوراً اكثر شمولية يتعلق بشكل مباشر بالإنسان ونشاطه وسلوكياته . (٢)

إن كل مفهوم من هذه المفاهيم للسياسة يحمل نقاط قوة وضعف ، بحيث لا يمكن جمعها في مفهوم موحد وهو ما جعل مفهوم السياسة محل جدل العلماء والمفكرين من خلال ظهور انقسامات في الرؤى السياسية ، إذ ظهرت العديد من النظريات للسياسة التي اسست لمفاهيم وافكار سياسية مختلفة ومنها : (٣)

أ. النظرية الرأسمالية :

التي ظهرت في القرن الثامن عشر وتبلورت على يد عالمين بارزين ظهرت من خلال دراستهما الأفكار الفردية بصورة متكاملة وهما :

(جون ستيوارت مل) ١٨٠٦ . ١٨٧٣م الذي دافع عن الحرية الفردية من تدخل الدولة داعياً إلى حرية الرأي .

(هيربرت سبنسر) ١٨٢٠ . ١٩٠٢ م الذي حاول عن حرية الأفراد وحقوقهم في التعبير ضد الدولة ، إذ وجد انصار هذه النظرية ان وظيفة الدولة تقتصر على حماية الوطن والأفراد والحقوق والملكية الخاصة ، إذ ساهمت النظرية الرأسمالية في إثراء الحرية الفردية وحماية الحقوق والحد من تدخل الحكومات .

ب . النظرية الاشتراكية

تنطلق هذه النظرية من مفهوم العدالة الاجتماعية لكل أطراف المجتمع من خلال عدالة توزيع الدخل ، وان الملكية الجماعية هي الأساس لتحقيق هدف العدالة ، وكان صاحب كتاب (اليوتوبيا) عام ١٥١٦م توماس مور قد دعا الى مجتمع مثالي يقوم على الملكية الجماعية من خلال تحقيق المساواة ، إذ يعد روبرت أوين (١٧٧١ . ١٨٥٨م) أحد اهم رواد الفكر الاشتراكي .

ج . النظرية الماركسية

بدأت افكار ماركس تنتشر في الأوساط السياسة والثقافية في المانيا بشكل خاص ، وتدحض فكرة الديمقراطية الاشتراكية ، وكان العالم يمر بفترة كساد اقتصادي وتضييق سياسي ، ونقل كل من كاو تسكي وبرن شتاين بنقل افكار ماركس الى إنجلترا ، إذ تحدثت هذه النظرية عن استغلال طبقات العمال من البروليتاري لمصلحة الرأسمالية منطلقاً من اربع نظريات متعددة الرؤى هي :

١. المادية الجدلية (الديالكتيكية)

٢. المادية التاريخية .

٣. صراع الطبقات .

٤. نظرية الثورة الاجتماعية .

د. النظرية السياسية الإسلامية (الفكر السياسي الإسلامي)

لم تكن السياسة بمفاهيمها المختلفة ولا الدولة بتنظيماتها المدنية قائمة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم و لا اثناء ولاية الخلفاء الراشدين ، ولكن مورست بشكل مختلف في بداية الخلافة الأموية ، إذ انتجت الصراع على السلطة الفرق السياسية التي بدورها انتجت الفرق المذهبية . (٤)

هـ . النظريات الشيوعية الدينية

وهذه النظرية تتضمن ثلاث نظريات تُرجع السيادة الى الله تعالى فهو مصدر السلطات وهي :

١. نظرية الطبيعة الإلهية للحاكم .

٢. نظرية الحق الإلهي المباشر .

٣. نظرية الحق الإلهي غير المباشر .

و. نظرية العقد الاجتماعي للسلطة

هذه النظرية تصدر من إرادة الشعب ، إذ يتم اختيار الحاكم من قبل الأمة او الشعب ، وأن السلطة تنتقل من الشعب الى الحاكم بناء على عقد اجتماعي كما يرى هوبز (١٥٨٨ . ١٦٧٩م)، أما لوك (١٦٣٢ . ١٧٠٤م) فهو يعارض سلطة الحاكم المطلقة ، وهناك جان جاك روسو (١٧١٢ . ١٧٧٨م) الذي يرى ان الأفراد يتنازلون عن حقوقهم كاملة للمجموع ، وميز مونسكيو بين ثلاثة اشكال للحكم : الاول النظام الجمهوري والثاني النظام الملكي والثالث النظام الاستبدادي .

ثانياً : مفهوم الدولة

تتعدد المفاهيم النظرية للدولة وتكويناتها ، ولكنها تتفق على ان الدولة كيان جغرافي وإنساني واجتماعي وسياسي وقانوني منظم ، إذ نشأت من الأسرة ومن ثم العشيرة والقبيلة ، ومن ثم تطور بناؤها غير المراحل الزمنية المتعاقبة ، فمفهوم الدولة عند ابن خلدون يرتبط بنظريته في العصبية ، وقد اختلف كل من (فيير) و (دور كايم) في تعريف الدولة ، ففي حين عرف الدولة (فيير) على اساس قوتها المادية ، يعرفها (دور كايم) على اساس وظيفتها التنظيمية ، إذ ادت تلك النظريات الى ما يؤسس لمفهوم الدولة التي تستطيع تحقيق العدل من خلال نظام قانوني وسياسي بعد توافر العناصر المادية والدستورية ، فقد نشأت الدولة بمراحل تاريخيه من المجتمعات البدائية مروراً بالإمبراطوريات القديمة ودول القرون الوسطى وصولاً للدولة الحديثة . (٥)

ثالثاً : مفهوم السلطة

تختلف الرؤى بشأن مفهوم السلطة وبداياتها ومراتبها باختلاف النظريات السلطة ، إذ يرى (الجبرتي) انها ظاهرة تعود إلى التطور العائلي التي ترجع الى رب الأسرة وأس العشيرة وشيخ القبيلة ، فوجود السلطة كمفهوم مؤسسي يعد عاملاً مهماً في بناء الدولة الحديثة من خلال امتلاك القوة لبيسط سيطرتها على الدولة من خلال خصائص السلطة المتعددة وهي كما يأتي :

١. سلطة الدولة هي سلطة أصلية .
٢. سلطة الدولة هي سلطة عليا .
٣. سلطة الدولة هي سلطة منفردة .
٤. سلطة الدولة هي سلطة مؤسساتية . (٦)

رابعاً : التنشئة السياسية

تعد التنشئة الاجتماعية جزءاً من التنشئة الاجتماعية العامة ، إذ يرى غابرييل الموند (Gabriel Almond) ان التنشئة السياسية عملية تشكل بها الثقافة السياسية ، و اشار إليها هيمن (Hyman) في كتابه التنشئة السياسية بأنها عملية تعلم الفرد انماطاً سلوكية ومعايير اجتماعية عن طريق مؤسسات المجتمع ، فالتنشئة السياسية عملية يكتسبها الفرد من خلال معلومات وحقائق وقيم سياسية تتبع من سياق المجتمع ، إذ تمارس مؤسسات المجتمع التي تتم من خلالها التنشئة السياسية دوراً هاماً وتأثيراً متبايناً حسب المرحلة العمرية من خلال الأسرة والمؤسسة التعليمية والأصدقاء ووسائل الإعلام . (٧)

خامساً : المشاركة السياسية

هي السلوك والنشاطات التي يمارسها اعضاء المجتمع بهدف اختيار ممثليهم في الحكومات والهيئات السياسية والمساهمة في صنع القرار السياسي والتأثر في اتخاذ القرارات وتحديد الأهداف من خلال

مستويات المشاركة السياسية ، والدوافع الشخصية للمشاركة والتي تتمثل بدوافع نفسية وإرادة تعبير ودوافع دينية وعرقية والخوف من السلطة والمنصب او الوظيفة . (٨)

سادساً : النخب السياسية

يرجع مفهوم النخبة الى الباحثين الإيطاليين (باريتو و موسكا) ، وذلك من خلال الدراسة التي قدمها في اوائل القرن العشرين ، إذ اكدا ان المجتمعات تنقسم الى طبقتين حاكمة ومحكومة ، وهناك خصائص يمكن إيجازها في ما يلي :

- (١) ان النخبة تمثل اقلية في المجتمع .
- (٢) انها تمتلك القوة ما يجعلها صاحبة اصدار القرار السياسي .
- (٣) ان النخبة لا تعني الحكم الفردي او العسكري .
- (٤) ان افراد النخبة السياسة ليسوا مؤبدين في مراكزهم .
- (٥) دورة النخبة تكون سريعة في الأنظمة الديمقراطية ، ومتوقفة في المجتمعات غير الديمقراطية .
- (٦) وجود صراع بين النخب .
- (٧) تباين طرق تشكل النخب فإما تأتي بالانتخابات او بالتعيين الو الوراثة او القوة . (٩)

سابعاً : الإصلاح السياسي

يعد مفهوم الإصلاح السياسي من المفاهيم الحديثة ، إذ بدأ استخدام هذا المصطلح في ظل انتشار مبدأ الديمقراطية ورغبة المجتمعات في تطوير آليات الحكم والمشاركة السياسية ، فهي العملية التي تهدف الى إعادة بناء المجتمع سياسياً ، وقد استخدم مفهوم الإصلاح العربي عند بروز الحركة التجديدية عند المصلحين الدينين بدءاً من رفاة الطهطاوي ثم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبد وابن باديس ، كما استخدم سياسياً في نهاية حكم الدولة العثمانية ، حتى اصبح الإصلاح يعني الإصلاح النهضوي بعد مرحلة الثورات التحريرية في الوطن العربي ، بينما يستخدم اليوم في العديد من المجالات سياسياً واقتصادياً وتعليمياً ، سعياً الى الوصول الى مرحلة الديمقراطية التي تعني سلطة الشعب والمشاركة الفعلية في إدارة الدولة ، فقد انتهجت الأنظمة العربية انماطاً جامدة من الحكم ، إذ اتجهت الى تعزيز الإجراءات الأمنية وتضييق الحريات وعدم الاهتمام بحقوق الإنسان ، وتعد هذه مرحلة جديدة تتعلق بالتحول الديمقراطي بما يأتي :

١. وجود دستور يحدد حقوق المواطنين وواجباتهم .
٢. استقلال المؤسسات التشريعية .
٣. حرية وسائل الإعلام .
٤. احترام حقوق الإنسان .
٥. فعالية النظام السياسي وترشيد السلطة . (١١)

ثامناً : الديمقراطية

الديموقراطية تعني في مفهومها الشامل سلطة الشعب ، وهي مجموعة من المبادئ والآليات لأنظمة الحكم ، وتقوم على اساس إرادة الأمة في انتخاب الحاكم ، إذ لا يمكن قيام نظام ديموقراطي إلا من خلال توافر الحرية والتعددية السياسية وإقامة النظام السياسي والتداول السلمي للسلطة من خلال نظام دستوري ينظم سلطاتها ، لكن الديمقراطية لا تترجم بالتعبير عن إرادة الأكثرية بل مضمون عمل السلطة وتوافق اعمالها ، إذ ان نصيب البلدان العربية الحديثة من فكرة الديمقراطية يكاد يكون ضئيلاً مقارنة بالدول الغربية .

(١٢)

تاسعاً : حقوق الإنسان

شكل مفهوم حقوق الإنسان ابعاداً إنسانية اخرى غير البعد السياسي الذي ترتبط به بشكل مباشر ، فقد عانى الإنسان على مر الزمن الظلم والاستبداد ، وعاشت الشعوب في ظل القمع والطبقية والتسلط ، لذا حاول الإنسان ان يحمي حقوقه الفردية والجماعية من خلال مرجعية تحقق له مراده ، ولم يكن مفهوم حقوق الإنسان معروفاً حتى حددت اطرها وزادت من قيمتها الديانات السماوية ، إذ كان لمفهوم حقوق الإنسان جانبان اساسيان يتعلق الأول بكرامة الإنسان والثاني الحماية القانونية المتمثلة في تنظيم هذه الحقوق ، فانقلت العناية بحقوق الإنسان من المبادئ الأخلاقية والايولوجية السياسية إلى الممارسة الواقعية من خلال الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان التي تضمنت الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي وافقت عليه الجمعية العامة في ١٠ كانون الأول ١٩٤٨ م . (١٣)

المبحث الثاني

علاقة السياسة بوسائل الإعلام

يرتبط حق الاتصال بالحق الكامل للفرد والجماعات في التعبير عن آرائهم والحصول على المعلومات التي تؤثر في حياتهم اليومية ، وفي الحق في التأثير في القيادات السياسية والاجتماعية بما يخدم المصالح العامة والمشاركة ، إذ تؤدي الصحافة دوراً هاماً في خدمة السياسة ، وذلك لتأكيد شرعية الحكومات او لدعم قوى وتأمين مصالح جماعات مختلفة ، ويختلف دور الصحافة من دولة إلى اخرى بحسب مستوى الحرية وديموقراطية الدولة وباختلاف سياسة الأنظمة الحاكمة في تلك الدول ، فالعلاقة بين النظامين السياسي والإعلامي توصف بأنها علاقة تأثير متبادل ، لكن حجم التأثير يختلف بين الطرفين وفق طبيعة العلاقة بينهما ووفق شكل النظام السياسي ودرجة الديمقراطية التي يتمتع بها ، ودرجة الحرية السياسية المتاحة للإعلام في معالجة القضايا السياسية والاجتماعية ، ودرجة استجابة النظام السياسي لملاحظات وسائل الإعلام وآرائها تجاه القضايا السياسية والاجتماعية ، وتجاه الأداء الحكومي لتلك القضايا ، إذ تعد وسائل الإعلام قنوات اتصالية فعالة بين النخب السياسية الحاكمة والرأي

العان ، انطلاقاً من تصورات النخب الحاكمة لمجريات الأحداث وعكسها للرأي العام من خلال وسائل الإعلام ، كما تعكس اتجاه الرأي العام بشأن معالجة النظام السياسي للقضايا المختلفة ، وتسهم وسائل الإعلام في إضفاء الشرعية على النظم السياسية ، ويمكن ان تقوض تلك الأنظمة من خلال النقد الدائم لفاعلية الأنظمة . (١٤)

اما في ما يخص الأنظمة العربية فإن الحكومات العربية تفرض بشكل كبير سيطرتها على وسائل الإعلام وبشكل خاص الصحافة التي سخرتها لدعن نفوذها السياسي والايديولوجي والترويج لأفكارها ، فالعلاقة بين الأنظمة السياسية والصحافة علاقة ازلية ، إذ تعتمد الأنظمة الحاكمة على وسائل الإعلام لتحقيق مجموعة من الأهداف الأساسية لاستقرار تلك الأنظمة ، فالأفراد الأكثر وعياً بالسياسة يتلقون معظم الرسائل وهم على وعي بها وأكثر قدرة على انتقادها وممارسة العملية الانتقائية ، اما الأفراد الأقل وعياً بالسياسة فهم اقل اهتماماً بها ، وبالتالي فهم يتلقون قدرأ محدوداً من الرسائل ، إذ يشير علماء السياسة والاتصال السياسي الى اهمية العلاقة الجوهرية بينهما وإضفاء الشرعية على الأنظمة السياسية بالاعتماد على نظريات الاتصال ، إذ تساعد هذه الوسائل الأنظمة السياسية على الاحتفاظ بالأوضاع السائدة والإبقاء على المعتقدات والسلطات القائمة ، فهي تضيء الشرعية على النظام لأن بقاءها مرهون ببقاء النظام نفسه ، فوسائل الإعلام تشارك في العملية السياسية من خلال تسليط الضوء على قضايا معينة ، ومن شأن ذلك ان يدعم او يغيّر الصورة الذهنية لدى الجمهور والتأثير في سلوكه السياسي ، إذ تتسم العلاقة بين الإعلاميين والسياسيين بسمات ثلاثة هي :

١. غير ثابتة وذات إشكالية ومشكوك فيها .
 ٢. ان هذه العلاقة بالغة الأهمية لأنها تستأثر بالجانب الأكبر من اهتمام الإعلاميين ، لأن النخب السياسية يمثلون اهمية للإعلاميين لارتباط القصص الإخبارية والموضوعات السياسية بتلك النخب .
 ٣. صعوبة خضوع العلاقة بينهما للدراسة والتحليل لأن كل منهما له منظوره الشخصي . (١٥)
- إن وسائل الإعلام وبما تمتلكه من ادوات مؤثرة تقوم في قضية المشاركة السياسية بمجموعة من الأدوار من اهمها أنها تؤدي دوراً سياسياً في التنشئة السياسية من خلال عملها على تعديل الاتجاهات وتغييرها ومشاركتها في تكوين القيم ، وانها مصدر مهم يستقي منه الأفراد معلوماتهم السياسية ، فالعلاقة بين العملية الاتصالية والعملية السياسة تعد علاقة وثيقة ومهمة ، فهي متوافقة ومختلفة ، ومن تحليل تلك العلاقة تُطرح عدة نماذج تفسر هذه العلاقة منها انها نموذج حالة العداة والخصومة بين النظامين ، وايضاً يصور ان هذه العلاقة على انها علاقة اجتماعية لخدمة اهداف النظامين ، فالإعلام السياسي يؤدي دوراً سياسياً في تدعيم المشاركة السياسية ومفاهيمها ، إذ تؤدي الصحافة ذات الايديولوجية الواحدة في البلدان العربية دوراً في تحقيق الأهداف والمصالح السياسية ، إذ قسم (وليام روف) الصحافة العربية الى ثلاثة انظمة هي :

١. صحافة الولاء وتتبع الأنظمة العربية والتقليدية.

٢. صحافة التعبئة ، وتتبع الأنظمة العربية الثورية واليسارية .

٣. الصحافة التعددية وتتبع الأنظمة ذات الديمقراطية الناشئة. (١٦)

إن علاقة وسائل الإعلام بالأنظمة السياسية في العالم بشكل عام هي علاقة ترابط ومصالح مشتركة ، وتباينات في الرؤى والتوجهات ، وهذا ما أفرز نظريات تناول هذه العلاقة ودور وسائل بشكل عام في المجتمع ، وهذه النظريات هي :

أولاً : نظريات علاقة وسائل الإعلام بالأنظمة السياسية

١. نظرية السلطة او النظرية السلطوية :

والتي تبحث بين السلطة ووسائل الإعلام ، إذ نشأت هذه النظرية في القرن السابع عشر في إنجلترا ، وهي تتقاطع مع رؤية افلاطون وارسطو وميكا فيلي وهيغل ، والتي ترى ان السلطة هي صاحبة الحق في نشر المعلومات الى الشعوب ، وفرضت هذه النظرية القيود من خلال الرقابة والتراخيص والمحاكمات التي تصل الى حد الاتهام بالخيانة العظمى ، إضافة الى المنح المالية (الرشى) في شراء ذمم الصحفيين (١٧).

٢. نظرية الحرية او النظرية الليبرالية :

يرجع تأريخ هذه النظرية الى عصر النهضة الأوروبية ما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، بعد ان بلور عدد من المفكرين المبادئ التي عارضت الاتجاهات السلطوية ، إذ حدد (دينيس ما كويل) عناصر رئيسية لهذه النظرية من أهمها أن النشر غير خاضع لأي رقابة ، وأن النقد الموجه للحكومة لا يؤدي الى العقاي بعد النشر ، وان لا يكون هناك اكراه او إلزام للصحفي ، مع عدم وجود اي نوع من القيود على المعلومات للنشر ، وان يتمتع الصحفيون بالاستقلال المهني . (١٨)

٣. نظرية المسؤولية الاجتماعية

تعود نشأة هذه النظرية الى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، إذ بدأت بالأوساط العلمية في امريكا واوروبا بدراسة دور وسائل الإعلام في هذه المجتمعات ودورها تجاه الفرد والمجتمع والمؤسسات الحكومية والإعلامية في إطار فكرة المسؤولية الاجتماعية التي تُقدم المثل العليا كالموضوعية والصدق والاهتمام بحقوق الإنسان وعدم الخضوع لهيمنة الربح من خلال عدة مفاهيم منها ضرورة التزام وسائل الإعلام بالتزامات اخلاقية من توفير المعلومات اليومية التي تتسم بالصدق والموضوعية والدقة ، إذ انعكس هذا على الاهتمام بالمؤسسات النقابية والعمالية وتحديد مجموعة وضائف ترتبط بوسائل الإعلام منها الوظيفة السياسية والتعليمية والثقافية ، فقد حدد (دينيس ما كويل) المبادئ الأساسية لهذه النظرية في الجوانب التالية:

. ان تقبل وتنفيذ وسائل الإعلام التزامات معينة تجاه المجتمع .

. تطبيق المعايير المهنية كالصدق والموضوعية والدقة .

. تجنب نشر ما يؤدي الى العنف والجريمة والفوضى وتوجيه النقد لأقليات معينة وجماعات بعينها . (١٩)
٤. النظرية الشيوعية :

نشأت هذه النظرية في ظل الحكم الشيوعي ، إذ سعت الى ان تجعل ملكية وسائل الإعلام للدولة ، تسيطر عليها وتوجهها حسبما تريد ، وتهدف الى نشر مبادئ الشيوعية ، وترى ان هذه النظرية ان القرار يجب ان يكون بيد الدولة ، وان الشعب لا يستطيع ان يقوم بمهمة التوجيه . (٢٠)
٥. نظرية المشارك الديمقراطي :

ترى هذه النظرية التي استخدمها (دينيس ما كويل) اتاحة الفرصة كاملة امام الجماعات والفئات والأقليات في المجتمع ممارسة حقوقها في الإعلام من خلال عدة مبادئ منها ان يكون الإعلام متاحاً لكل المواطنين ، وإن تعمل وسائل الإعلام في خدمة الجمهور بالدرجة الأولى ، وإتاحة الفرصة للجماعات والتنظيمات في امتلاك وسائل الإعلام ، فوسائل الإعلام من اهم المصادر التي يعتمد عليه الفرد في معلوماته السياسية والتي تؤدي في دورها دوراً مهماً في التنشئة السياسية ، إذ تساعد في تكوين الرأي العام وتخلق شعوراً بالانتماء والوحدة القومية . (٢١)

ثانياً : علاقة التبادل بين وسائل الإعلام والسلطة السياسية

لا يمكن بأي حال من الأحوال تصور العملية السياسية بدون العملية الإعلامية ، فوسائل الإعلام تكون اداة مساعدة للعمل السياسي ، وبالمقابل فإن النظام السياسي يكون مصدراً مهماً من مصادر وسائل الإعلام ، فالمنظمات السياسية والتي تتمثل بالأحزاب السياسية الرسمية والمنظمات العامة ومجموعات الضغط تسعى للتأثير في القرارات السياسية وتحقيق مصالح خاصة من خلال الضغط على الحكومات من خلال وسائل الإعلام ، وهناك ايضاً الجمهور الي يعد العنصر الأهم والعامل المشترك بين المؤسسات السياسية ووسائل الإعلام التي تخدم النظام السياسي وتزوده إضافة الى المعلومات السياسية بمعلومات ثقافية . (٢٢)

ثالثاً : وسائل الإعلام في خدمة النظام السياسي

تخدم وسائل الإعلام الأنظمة السياسية بطرق مختلفة ، إذ تُستخدم في السياسة الخارجية كمدون لإيصال رسائلها بفعالية كبيرة من خلال عدة وظائف تخدم النظام السياسي ومنها تسهيل التماسك الاجتماعي في وقت الأزمات ، إضافة الى عملية التأييد للنظام في مواجهة التحديات ، فوسائل الإعلام تعكس قيم المجتمع ومعتقداته وثقافته من خلال ما تقدمه من مسلسلات واذان وافلام ، إضافة الى ترسيخ الأوضاع الاقتصادية القائمة من خلال البرامج الاقتصادية الإخبارية والإعلانات التجارية ، ومن جانب آخر فإن وسائل الإعلام تقدم التكافل الاجتماعي بين السكان خاصة في الدول النامية . (٢٣)

رابعاً : الوظائف الاجتماعية للصحافة

تشكل وسائل الإعلام بمختلف اشكالها أهمية حيوية في حياة الإنسان المعاصر من خلال بعض الوظائف التي تتمثل بما يأتي :

١. وظيفة مراقبة البيئة :

يعمل المراسلون الخارجيون على مراقبة البيئة الخارجية من خلال تقارير تناولت النشاطات الداخلية والخارجية للمجتمعات .

٢. وظيفة تحقيق الترابط الاجتماعي :

يفترض العلماء ومنهم (لا زويل) ان رجال الإعلام هم المختصون بتحقيق الترابط الاجتماعي خلال تكوين رأي عام وإحاطة الفئات الاجتماعية بكل الأحداث .

٣. وظيفة نقل الإرث الاجتماعي :

يرى العلماء ومنهم (لا زويل) أن وسائل الإعلام تنقل الإرث الاجتماعي من جيل لآخر من خلال وسائل الإعلام التي تتبنى دور الفرد في العملية الاتصالية ، إذ يحدد دور كل فرد في البناء الاجتماعي عن طريق الاتصال بالآخرين الذي يساعد على الاقتراب منهم والإحساس بالأمن والتماسك الناتجة عن الترابط الاجتماعي ، إذ يظهر ذلك من خلال أهمية الاتصال التي تزيد من تعلم المهارات والمعلومات والمعارف الثقافية . (٢٤)

المبحث الثالث

الجوانب السياسية للاتصال الجماهيري

يمكن القول بأن وظائف الدولة قد اتسعت لتشمل شتى نشاطات الحياة الإنسانية ، إذ ترتب على ذلك ظهور وظائف جديدة لأجهزة الدولة منها الوظيفة التي تشمل الاتصال السياسي الجماهيري ، فكلمة الاتصال السياسي يمكن القول بأنه " نشاط المؤسسات المتخصصة التي تنتشر المعلومات والأفكار والاتجاهات والمواقف الحكومية " (٢٥) ، إذ يمكن ان نعرض هذه الوظائف على النحو الآتي :

أولاً : نمو وسائل الإعلام الجماهيري واثره في النشاط السياسي

كان لنمو وسائل الإعلام الجماهيري أثراً كبيراً في سلوك النشاط السياسي ، في الولايات على سبيل المثال كان لتطور وسائل الاتصال الجماهيري وظهور الراديو والتلفزيون دوراً كبيراً في عقد اللقاءات الجماهيرية ، ومنذ ان تحدث الرئيس روزفلت في الراديو عام ١٩٣٠م ، أصبح من الممكن للرئيس او مرشح الرئاسة ان يقوم بحملة انتخابية مباشرة ، وأن يقيم علاقة مباشرة مع كل ناخب من خلال الراديو وبعد ذلك التلفزيون ، ومع ذلك فإنه من الخطأ ان نقارن بين الفعالية السياسية للاتصال من خلال وسائل الإعلام والفعالية السياسية للاتصال المباشر ، ذلك ان كليهما يخدمان في اتجاهين مختلفين ، إذ اوضحت

الدراسات التي اجريت لدراسة العلاقة بين الاتصال المباشر ، والاتصال من خلال وسائل الإعلام الجماهيري على انه لزيادة فعالية الاتصال ، إذ لا بد حدوث ارتباط ما بين الاتصال الجماهيري والاتصال المباشر من خلال قادة الرأي التي تؤكد الدراسات ان ثمة تكامل واضح بين وسائل الإعلام والتنظيم السياسي تتضح من خلال ما يأتي :

١ . ننظر الى الاتصال السياسي بالجماهير بوصفه نشاط للأبنية السياسية في المجتمع بالإضافة الى نشاط المؤسسات المتخصصة التي تنشر المعلومات والأفكار والمواقف عن كل ما يتعلق بالشؤون السياسية في المجتمع .

٢. ان تطور وسائل الإعلام الجماهيري يجعل الباحث يميل الى تصور معين للنشاط الاتصالي للأبنية السياسية في المجتمع وخاصة في المستوى الجماهيري .

٣. ان كافة الأبنية السياسية في المجتمع السياسي تستخدم وسائل الإعلام الجماهيري ، بالإضافة الى الاتصال المباشر في نشاطها الإتصالي .

٤. ان النشاط الاتصالي يمتد بين مختلف اجزاء النسق السياسي ، وهذا يجعل من الصعب على الباحث ان يحدد موقع الأبنية او المؤسسات الإعلامية المكونة لنسق الاتصال السياسي .

٥. يؤثر هذا التفاعل بين النشاطات الاتصالية والنشاط السياسي في المجتمع والمؤسسات المكونة للاتصال السياسي ، إذ تؤثر هذه المؤسسات بشكل او بآخر في الرسالة الاتصالية او القناة التي تنقلها .
(٢٦)

ثانيا: الوظيفة المعنوية للدولة

تشكل الوظيفة المعنوية للدولة كل ما له صلة بالعملية الاتصالية ، إذ ترتفع الى قمته من حيث التأثير والتأثر ، فطبيعة الدولة تعكس مظاهر وجوهر الأبعاد المختلفة للوظيفة الاتصالية ، فهذه الوظيفة تمثل الحقيقة المتكاملة بين مجموعة الوظائف المختلفة المرتبطة بالعلاقة الاتصالية ، ومن خلال هذا المنطلق يمكن القول ان هناك خمس مسالك للوظيفة المعنوية كل منها تعكس حقيقة مختلفة وهي :

(١) الوظيفة الإعلامية

(٢) الوظيفة الثقافية .

(٣) الوظيفة الايدلوجية والعقائدية.

(٤) الوظيفة الحضارية .

(٥) الوظيفة الدعائية .

وفي جميع هذه المستويات هناك عملية اتصال فكري ، فالوظيفة الأولى (الإعلامية) تدور في دوائر ثلاث تكون في إطار واحد واقعاً وهو الأخبار التي تسعى الى خلق الترابط الفكري بين مختلف اجزاء الجسد الاجتماعي ، فهي تؤثر في اختيار الحكومات والفاعلين السياسيين الآخرين ، وتبني الاختيارات التي ربما

يختار من بينها الناخبين ، اما الوظيفة الثانية (الثقافية) فهي تقوم بحلقات التثقيف السياسي بقصد توحيد الأدرار القومي وتحقيق التماسك السياسي القومي ، والوظيفة الثالثة (الحضارية) فهي توحد الأدرار والإيمان بأن المجتمع يملك وظيفة معينة في الإطار الإنساني تمتد عبر الحضارات ، والوظيفة الرابعة (الايولوجية والعقائدية) تعني ان الدولة لا تستطيع ان تقف معزولة الأيدي ازاء التطور السياسي بل عليها بالقوة والإكراه بما في ذلك اللتجاء إلى أدوات الإعلام المختلفة لخلق المجتمع المثالي ، والوظيفة الأخيرة (الدعائية) فهب تتجه في اغلب الأحيان الى الخارج ولا تتجه الى الداخل ولها عدة تطبيقات منها الحرب النفسية والتسميم السياسي . (٢٧)

ثالثا : آلية اللاتصال السياسي بالجماهير

هناك عدة نظريات تبين عملية اللاتصال السياسي بالجماهير ومنها :

١. آراء (هارولد لاسويل) :

إذ يعد من اهم الدراسات التي لفتت النظر منذ ثلاثينات القرن العشرين ، فهو يرى ان المجتمع يشبه الهرم ، فلحكام وهم الصفوة في قمة الهرم ، وجماهير الشعب في القاعدة ، وتجري عملية اللاتصال من اجل تحقيق اهداف الدولة وتنفيذ السياسة ، وهو يرى ان الحوار بين الحاكم والمحكومين وبين فئات الشعب مع بعضها البعض افضل من استخدام القوة والعنف ، وأن اللاتصال هو اداة التحكم في الجماهير من جانب السلطة الحاكمة عن طريق استخدام الرموز السياسية بدلاً من استخدام العنف التقليدية . (٢٨)

٢. آراء (جيرالد كلينا) و (كورين شينا) :

ظهرت هذه الآراء مع التطور المعاصر للنظم الديمقراطية الحديثة في الغرب الأوربي وفي الولايات المتحدة الأمريكية والذي صاحبه تطور في وسائل الإعلام الجماهيري من (تلفزيون وإذاعة وصحافة) تتولى القيام بعملية اللاتصال بين الحاكمين والمحكومين خاصة ان معظم اجهزة الإعلام الجماهيري تتعرض لضغوط عديدة بوصفها الأداة التي تقوم بالاتصال السياسي الجماهيري خاصة ان نماذج الضبط وبناء الإعلام ينظر اليه على انه عنصر ضروري ولازم لدفع الأهداف القومية وملحق لبناء العلاقات الوسيطة الموجودة بين النخبة والمحكومين . (٢٩)

رابعاً : أبنية اللاتصال السياسي بالجماهير في المجتمع

يمكن تميز بين خمسة انواع من ابنية اللاتصال السياسي وهي :

١. اللاتصال المباشر غير الرسمي

٢. الأبنية الاجتماعية الغير السياسية : الأسرة المدرسة الأصدقاء وغيرهم ٣. ابنية المدخل السياسي :

كالأحزاب السياسية والمنظمات التي تدخل في العملية السياسية .

٣. ابنية المخرجات السياسية : كالأجهزة التنفيذية ، البرلمان ، الجهاز البيروقراطي .

٤. وسائل الاتصال الجماهيري كالإذاعة والتلفزيون والصحف والمجلات والواقع ان هذه الأبنية جميعا تقوم بوظائف اتصالية عديدة في اطار النسق السياسي ، فهي تلعب دوراً في التنشئة السياسية عن طريق نقل المعلومات والموضوعات السياسية ذات النسق السياسي . (٣٠)

الهوامش

- (١) محمد بن سعود البشر ، مقدمة في الاتصال السياسي ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٩٩٧ ، ص٦٥ .
- (٢) عبد الخالق عبد الله ، حكاية السياسة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص٦٣ .
- (٣) مهدي محفوظ ، اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ١٩٩٠ ، ص١٣٥ .
- (٤) د. هيثم نعمة رحيم العزاوي ، الإسلام والسياسة من الفتنة الكبرى إلى الربيع العربي ، دار الكوثر للنشر ، بغداد ، ٢٠١٧ ، ص ٩٨ .
- (٥) عمر احمد قدور ، شكل الدولة واثره في تنظيم مرفق المن ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ٢٨ .
- (٦) المصدر نفسه ، ص ٥٤ .
- (٧) عصام علي الدبس ، النظم السياسية ، اسس التنظيم السياسي ، دار الثقافة للنشر ، عمان ، ٢٠١٠ ، ص ٣٤ .
- (٨) Thomas Die, Under Slandering, Public Policy Prentiss Hall, 1972, New Gorsy .pp11.
- (٩) رباب عبد الرحمن هاشم ، الإعلام والإصلاح السياسي في مصر ، دار العالم العربي ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ٢٠ .
- (١٠) المصدر نفسه ، ص ٣٢ .
- (١١) محمد بن سعود البشر ، المصدر السابق ، ص ٨٧ .
- (١٢) احمد الكاتب ، تطور الفكر السياسي السني نحو خلافة ديموقراطية ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، ص ٢٥٥ .
- (١٣) دافيد ب ز . فور سيات ، حقوق الإنسان والسياسة الدولية ، ترجمة محمد مصطفى غنيم ، الجمعية المصرية للنشر والمعرفة ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ٣٢٠ .
- (١٤) راسم محمد الجمال ، الاتصال والإعلام في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩١ ، ص ٢٧ .
- (١٥) بسيوني ابراهيم حمادة ، الصحافة وصنع القرار السياسي في الوطن العربي ، عالم الكتب ، ٢٠١٢ ، ص ٨٢ .
- (١٦) A , Campbell , G , Guerin & W,E ,Miller , The Voter decides , Evanston , Ill .p183
- (١٧) محمود متولي ولطفي عبد القادر ، الإعلام وحرية المجتمع في موكب التاريخ ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٩١ .
- (١٨) محمود علم الدين ، أساسيات الصحافة في القرن الحادي والعشرين ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٩ ، ص ٢٥١ .

- (١٩) عبد الله محمد عبد الرحمن ، سيسيولوجيا الاتصال والإعلام ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٥ ، ص٢٥٦ .
- (٢٠) صالح خليل ابو إصبع ، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة ، دار آرام للنشر ، عمان ، ٢٠٠٤ ، ص٩٥ .
- (٢١) ثروت مكي ، الإعلام والسياسة وسائل الاتصال والمشاركة السياسية ، عالم الكتب ، ٢٠٠٥ ، ص٥٩ .
- (٢٢) حسن عماد مكاوي وليلى حسين السيد ، الاتصال ونظرياته المعاصرة ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص٧٦ .
- (٢٣) ثروت مكي ، الإعلام والسياسة ، المصدر السابق ، ص٨٩ .
- (٢٤) محمد حسام الدين اسماعيل ، المسؤولية الاجتماعية للصحافة ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص٦٥ .
- (٢٥) د. هيثم نعمة رحيم العزاوي ، مرتكزات الإعلام والسياسة ، دار الكوثر للنشر ، بغداد ، ٢٠١٨ ، ص٨٧ .
- (٢٦) ملفين ل . وساندرا بول روكي تش ، نظريات وسائل الإعلام ، ترجمة كمال عبد الرؤوف ، الدار الدولية للتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٩ ، ص٦٢ .
- (٢٧) د. احمد قزان الزهراني ، السلطة السياسية والإعلام في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠١٥ ، ص١١١ .
- (٢٨) د. هيثم نعمة رحيم العزاوي ، مرتكزات الإعلام والسياسة ، المصدر السابق ، ص٩٨ .
- (٢٩) James T. Lapland "Political Learning in Adolescence: Survey of Political Awareness and Attitudes of Middle School Students in Hartland Volume59. 04, p131

المصادر

١. أحمد الكاتب ، تطور الفكر السياسي السني نحو خلافة ديموقراطية ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، ٢٠٠٩ .
٢. د. احمد قزان الزهراني ، السلطة السياسية والإعلام في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠١٥ .
٣. بسيوني ابراهيم حمادة ، الصحافة وصنع القرار السياسي في الوطن العربي ، عالم الكتب ، ٢٠١٢ .
٤. ثروت مكي ، الإعلام والسياسة وسائل الاتصال والمشاركة السياسية ، عالم الكتب ، ٢٠٠٥ . حسن عماد مكاوي وليلى حسين السيد ، الاتصال ونظرياته المعاصرة ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ٢٠٠٣ .
٥. دافيد ب ز . فور سيات ، حقوق الإنسان والسياسة الدولية ، ترجمة محمد مصطفى غنيم ، الجمعية المصرية للنشر والمعرفة ، القاهرة ، ١٩٩٣ .
٦. رباب عبد الرحمن هاشم ، الإعلام والإصلاح السياسي في مصر ، دار العالم العربي ، القاهرة ، ٢٠٠١ .

٧. صالح خليل ابو إصبع ، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة ، دار آرام للنشر ، عمان ، ٢٠٠٤ .
٨. عبد الله محمد عبد الرحمن ، سيكيولوجيا الاتصال والإعلام ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٥ .
٩. عصام علي الدبس ، النظم السياسية ، اسس التنظيم السياسي ، دار الثقافة للنشر ، عمان ، ٢٠١٠ .
١٠. فاروق ابو زيد ، الإعلام والسلطة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٧ .
١١. ملفين ل . وساندرا بول روكي تش ، نظريات وسائل الإعلام ، ترجمة كمال عبد الرؤوف ، الدار الدولية للتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٨ .
١٢. محمد بن سعود البشر ، مقدمة في الاتصال السياسي ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٩٩٧ .
١٣. مهدي محفوظ ، اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٠ .
١٤. محمد حسام الدين اسماعيل ، المسؤولية الاجتماعية للصحافة ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ، ٢٠٠٣ .
١٥. د. هيثم نعمة رحيم العزاوي ، الإسلام والسياسة من الفتنة الكبرى إلى الربيع العربي ، دار الكوثر للنشر ، بغداد ، ٢٠١٧ .
١٦. د. هيثم نعمة رحيم العزاوي ، مرتكزات الإعلام والسياسة ، دار الكوثر للنشر ، بغداد ، ٢٠١٨ .

المصادر الأجنبية :

- 1- James T. Lapland "Political Learning in Adolescence: Survey of Political Awareness and Attitudes of Middle School Students in Hartland Volume59 -
- 2- A , Campbell , G , Guerin & W,E ,Miller , The Voter decides , Evanston ,III . Thomas Die, Under Slandering, Public Policy Prentiss Hall, 1972, New Gorsy .
- 3- Thomas Die, Under Slandering, Public Policy Prentiss Hall, 1972, New Gorsy